

أزمة حقيقية يعيشها اليوم مجتمعنا العربي، هذه الأزمة التي تكبر وتتمدد بين الحين والآخر، تتمثل بضمور المعايير الأخلاقية التي تضبط سلوك أفراد هذا المجتمع وتنظمه وترتقي به إلى مصاف المجتمعات التي تمتلك خصائص وميزات فاعلة وواضحة، تركز وتحدد هويتها الأصيلة.

ثمة عوامل عدة ساهمت في وصول مجتمعنا إلى هذا الدرك الخطير من الضياع، أهمها غياب الاستعدادات البنيوية التي تواكب الدخول القسري لعصر العولمة، واصطدامه بمجموعة من الضغوطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي أفقدته روح المبادرة، وبالتالي ساهمت في ضياع خصوصيته العربية.

هذه المرحلة من حياة المجتمع العربي عنوانها: اللاتوازن، وملامحها طغيان ثقافة الفساد الذي استشرى بشكل سرطاني، بتنا معه نرى مفاهيم وقيماً سامية ضاعت بحجة الحداثة، بل طغت مبررات وذرائع من قلب الحالة الراهنة، أصبحت بمثابة حِكمَ هذا الزمان (نتاج للواقع المعاش)... فضيق ذات اليد يبرر الرشوة، وتكبير رأس المال يبرر الالتفاف على كل القوانين والشرائع، والطموح بات يتناغم كلياً مع "الغاية تبرر الوسيلة"، وحكمة العصر: إن لم تكن ذنباً أكلتك الذئب، والنتيجة أمام هذا الضياع تلخص بسؤال: من نحن وما هي خصائصنا وقيمنا وما هي نواظم حياتنا؟!

واقع مأزوم نشعر بشدة وطأته، سينعكس ويلقي بظله - بالتأكيد - على الأجيال الشابة التي ضاعت ولم تعد تعلم إلى أي من المجتمعات تنتمي وما هي ثقافتها، فيما ندعي عمداً أو جهلاً أننا مجتمع ذو هوية واضحة الملامح، لا بل تشكل علامة فارقة بالحفاظ على القيم والمبادئ بين المجتمعات الأخرى كافة.

لكن دعونا نقول: إن أجيالنا الشابة التي بدأت تتحسس هذه الأزمة وتلمسها، وتدرك عمق الفجوة بين ما هو معلن وما هو واقع، لن تسامحنا لأننا ضللناها.. فتعالوا إلى "كلمة سواء" بيننا قوامها الاعتراف بالأزمة المتنامية، لأن تشخيص المشكلة وتوصيفها هما بداية الحل.

على أن التحديات المتعاظمة الكبيرة التي تواجه مصيرنا وتهدد مستقبلنا تستلزم دوراً فاعلاً للإعلام الذي يعدّ ركيزة وعنصراً أساسياً في تشكيل ملامح المجتمعات، لما يملكه من قدرة على التغيير والتأثير في البنية المجتمعية. ولكن أي نوع من الإعلام نريد؟... إنه الإعلام القادر على الحد من الثقافة الاستهلاكية، والتفكير السطحي الذي يعزز التبعية الثقافية... الإعلام الوطني المخلص الحر المدرك والمؤمن بقدرة أفراد مجتمعه على خلق المبادرات التي تعيد كل ما هو أصيل وتقتلع كل ما هو دخيل.

ولعل الدراما السورية بوظيفتها الفنية والفكرية والتنويرية- والتي سنناقشها لاحقاً- تعتبر خطوة متقدمة وواسعة في هذا الاتجاه الذي يؤكد أن الإعلام هو عصب المعركة في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية الزاحفة لنا من كل مكان.

## سؤال .. قبل ضياع الهوية؟

فاديا جبريل